Journal of Alasmarya University
Volume 25, December 2015

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الخامس والعشرون، ديسمبر 2015

أخلاقيات العالم في صلته مع المتعلمين

بين النظرية والتطبيق

د. فيصل صلاح الرشيدي*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين وبعد.

يعد هذا البحث إسهاماً له وزنه في مجال الدراسات المتعلقة بالتراث التربوي، لأنه يعالج جانباً له أهميته الكبرى في العملية التعليمية التعَّلمية وهو «أخلاقيات العالم في صلته مع المتعلمين بين النظرية والتطبيق» وتظهر أهمية بحث الدراسة التي عنونتها بالعنوان السالف الذكر في الصلة الوثيقة بين العالم والمتعلم، وبين أساسيات وأصول الحقل التربوي التعليمي بمجالاته النظرية ثم التطبيقية، من خلال علم الحكمة العملية والذي يبحث عن حقائق الأشياء على ما هو عليه في نفس العلم والعمل، لذا استهدفت هذه الدراسة الكشف عن دور العالم والمتعلم والتأكيد على الصلة بينهما لازدهار الحركة التعليمية، ويمكن أن نبرهن في صدق وأصالة على الصلة بين العالم والمتعلم من خلال التربية الفقهية التي ربطت بين العلم والعمل، لأن العمل بالنسبة للعلم كالثمرة بالنسبة للشجرة، فكما

* الجامعة الأسمرية.

أن الغرض من الشجرة هو ثمرتها، كذلك العمل بالنسبة للعلم هو الثمرة المتوخاة من التعلم والتعليم (أي الهدف من النظرية والتطبيق) والمقصود هنا بالعالم هو المعلم التربوي والإنسان الحكيم.

والصلة بين العالم والمتعلم صلة إنسانية من نوع خاص؛ لأنها تقوم على خدمة العقل باستخدام الأساليب التربوية وطرق التدريس، والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها العلماء والمتعلمون في المجتمعات الثقافية التربوية.

والعالم الفعال هو العالم الإنساني: الذي يتصف بما تنطوي عليه هذه الكلمة من معنى، وهو القادر على التواصل مع الآخرين والمتعاطف والودود والصادق والمتحمس والمرح والديمقراطي والمنفتح والمبادر والقابل للنقد والمتقبل للآخرين، ومن الجدير بالذكر أن هذا البحث عالج كل هذه الأشياء السالفة الذكر عن طريق تمسك العالم بالطلاقة والبشر؛ لأن «الابتسامة على الوجه تزرع الفرح في القلوب» ويقول فولتير «ابتسامة المرء شعاع من أشعة الشمس» وكذلك يقول ستيفان جزال «الابتسامة واجب اجتماعي» والبشر هو طلاقة الوجه، ويتحقق عن طريق الطلاقة والبشر مهارات التواصل وعناصر حدوث التواصل أي مساعدة الطلبة على أن يتعلموا كيف يتعلمون، ومساعدة الطلبة على التعلم عن طريق الحوار والمناقشات العلمية والبحث والاستقصاء وبذلك يتوفر المناخ العلمي والمادي والنفسي الذي يؤمن الاتصال المفتوح بين العالم والمتعلم، وبين الطلاب أنفسهم من جهة أخرى، ولقد أخذ مفهوم العلاقات الإنسانية بين العالم والمتعلم يلعب دورا مهما في المجال التربوي منذ ظهور حركة التربية الإنسانية المفتوحة للدلالة على الاتجاه الإنساني في التربية، وهذا ما نجده في غضون هذا البحث والذي يشير إلى تمسك العالم بمعايير المهنة التربوية الأكاديمية في الحقل التربوي وهي ما يلي:

1. الطلاقة والبشر وهي التي تحقق علم اجتماع التربية والتفاعل الاجتماعي.
2. عدم تعنيف الطلاب، ومراعاة الفروق الفردية، والاطلاع الواسع وفهم المادة العلمية وهذا يؤدي إلى توثيق المحبة بين المعلمين والمتعلمين.
3. يجب أن لا تتركز العملية التربوية على الجانب المعرفي وإمداد الطالب

بالمعلومات، وإنما يجب أن تمتد لتشمل جوانب الأخلاق والسلوك.

4. مراعاة قوة المتعلم على الفهم والتحصيل، ويتم ذلك بتمسك العالم بالورع والخوف من الله وإخلاص النية في التعليم مما يجعل الشخصية العلمية تتمتع بكفاية عالية من الأدب والحلم والاتزان.
5. الحنو والشفقة على المتعلم أي يحب لطالبه ما يحب لنفسه، ويكون إسوة وقدوة للطالب، وعدم توبيخ الطالب أمام زملائه، ويكون بهم رفيقا سمحا، يراعي التدرج والتلطف في العملية التعليمية والتعلّمية
6. بذل النصيحة عن طريق المناظرات العلمية والحوار العلمي، وتكون الأساليب في عملية التدريس مستوحاة من الواقع الثقافي والاجتماعي.
7. ملاحظة حال المتعلمين، بمراقبتهم والسؤال عنهم، ونتناول ما سلف بالشرح والتفصيل في غضون هذا البحث.

إن تنمية القدرات الأخلاقية والصلة بين العالم والمتعلم تحتاج إلى إعداد خاص للمتعلمين وإلى حسن اختيارهم؛ لأن المعلم يشكل عاملا رئيسيا في هذا الميدان.

أخلاقيات العالم في صلته مع المتعلمين

الصلة بين العالم والمتعلم صلة إنسانية مع نوع خاص، تقوم على أساس خدمة عقل[1] المتعلم فإذا كانت هذه الخدمة قائمة لغرض تقديم العلم الشرعي، فهي تعد بذلك من أسمى الغايات، وأسمى الغايات لا يمكن الوصول إليها أو بلوغها إلا بأسمى الأساليب من مهارات المعلم الحاذق ولشخصية المهنية.

1- حد العقل: العقل اسم مشترك لمعان عدة فيقال عقل الصحة الفطرة الأولى في الإنسان فكون حده أنه قوة بها يجوز التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة، ويقال عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض. رسائل منطقية في الحدود والرسوم ابن سينا، تحقيق: د. عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، لبنان، د. ت ط، 1993م-1413هـ ص123-124.

والصلة الإنسانية بين العالم والمتعلم تصل إلى أسمى الغايات عن طريق ما يلي:

1. الطلاقة والبشر

يجب على العالم أن يكون أكثر شفافية ورقة وليونة مع المتعلمين؛ لأنه يتعامل مع الروح العقلية والعلم والمعرفة حيث يقول الحسين ابن أمير المؤمنين في آداب العلماء والمتعلمين « معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، والاحتمال منهم والإيثار وترك الاستيثار، والإنصاف وترك الاستنصاف وشكر الفضل والسعي في قضاء الحاجات وبذل الجاه في الشفاعات والتلطف بالفقراء والتحبب إلى الجيران والأقرباء والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم »[2].

من النص السابق يتضح لنا أنه يجب على العالم البعد عن الخشونة والعنف والصلابة مع المتعلمين بل يجب عليه اللطف والرفق لكي يحقق حسن الخلق بينه وبين المتعلمين وأن يبتعد عن شدة عبوس الوجه، ويتمسك بطلاقة الوجه والبشاشة[3] لقول الرسول ﷺ: « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة » الترمذي (حديث رقم 1879) فإذا طبق ذلك يحقق فضيلة الألفة بينه وبين المتعلمين، والألفة هي ثمرة حسن الخلق، والتفرق سوء الخلق، والعلاقة بين العالم والمتعلم تكون عن طريق التحاب، والتآلف، والتوافق، والأخوة والحنو.

فيقول ابن جماعة « وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به

2- آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن أمير المؤمنين، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1408 هـ-1987م ص28.

3- البشاشة: وهي البشر وهو إظهار السرور بمن يلقاه الإنسان من أحداثه وأدائه وأصحابه وأوليائه ومعارفه، التبسم عند اللقاء، وهذا الخلق مستحسن من جميع الناس، وهو من الملوك والفطماء أحسن، فإن البشر في الملوك تتآلف به قلوب الرعية والأعوان والحاشية، ويزداد به تحسبا. تهذيب الأخلاق، يحي بن عدي، تحقيق: جاد حاتم، دار المشرق، بيروت، د. ت، 1985م ص57.

أعز أولاده من الحنو والشفقة[4] عليه والإحسان إليه، والصبر على جفاه وربما وقع منه نقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطيف لا بتعنيف قاصداً بذلك حسن تربيته وحسن خلقه وإصلاح شأنه»[5].

ومن شروط العالم في درسه طلاقة الوجه والبشاشة والابتسام، ومن الجدير

بالذكر أن الابتسامة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان، والقرآن الكريم يشير إلى الابتسامة يقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: 38-39]، وحسن الخلق مقرون بطلاقة الوجه في أثناء الدرس حيث يقول العاملي «أن يحسن مع جلسائه زيادة على غيرهم، ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو إصلاح أو شرف خلقه ونحو ذلك، يرفع مجالسهم على حسب تقديمهم في الإمامة، ويتلطف بالباقين، ويكرمهم بحسن السلام وطلاقة الوجه والبشاشة والابتسام وبالقيام على سبيل الاحترام»[6].

أروع ما قيل في البشاشة والابتسامة

ويقول د. عائض في كتابه (ابتسم): «البشر: وهو طلاقة الوجه، يقال بشر فلانا، وبشره، وأبشره، الاسم البشر والبشارة، والرجل بشير ومبشر، والاستبشار بالشيء الفرح به وتوسم الخير فيه، والبشر والبشاشة طلاقة الوجه والإقبال على من أحبك والضحك إليه، وفرح الصديق بالصديق»[7].

وذكرت البشاشة والابتسامة في الأمثال العربية فمنها:

- بشاشة الوجه أفضل من سخاء الكف.

4- الشفقة: هي صرف المهمة إلى إزالة المكروه عن الناس. التعريفات، الجرجاني، ص131.

5- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مخطوط منشور في الفكر التربوي عند ابن جماعة، د. عبد الأمير شمس الدين، دار الكتاب العالمي، الطبعة الأولى 1990م، ص95.

6- منيه المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، آداب يختص بها المعلم في درسه، ص176.

7- ابتسم، د. عائض القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط9، 1469هـ /2008م، ص12.

- بشاشة الوجه نعمة من الله.
- البشاشة رشوة والمودة نشوة[8].

وهناك الابتسامة في أقوال المفكرين الأجانب ومنها:

- يعرف الولد أمه من ابتسامتها. فرجيل.
- ابتسامة المرء شعاع من أشعة الشمس. فولتير.
- هناك حناجر في الابتسامات. وليم شكسبير[9].

فيما سبق ذكره تحدثنا عن آداب العلم في درسه وعلمه، ونذكر بعد ذلك شروط المعلم في درسه أو تعلمه وهي ما يلي:

أما عن شروط المتعلم فلا بد من أن يكون معتدل الرأي ومتوسط الاعتقاد عند تلقيه فضيلة العلم حيث يقول الماوردي «وإذا كان المتعلم معتدل الرأي فيمن يأخذ عنه، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه حتى لا يحمله الإعانات على اعتراض المبكتين، ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين، برئ المتعلم من المذمتين»[10].

وينبغي للمعلم أن يتخلق بالأخلاق الزكية والآداب المرضية والشيم الجميلة بعيدا عن التعصب والغضب[11] كل ذلك يظهر من خلال البشاشة في الوجه.

«قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه ببشر[12] ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله في

8- أروع ما قيل في الابتسامة، اميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1418-1998 ص31.

9- المرجع السابق نفس الصفحة.

10- أدب الدينا والدين، الماوردي، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 1421-2000م، ص50.

11- الغضب: تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر (التعريفات الجرجاني، ص164)

12- البشارة: كل خير صادق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب (التعريفات، الجرجاني، ص49).

القراء ضرب هذا»[13].

ولا يمكن للمتعلم أن يصل إلى خير[14] وسعادة[15] العلم إلا عن طريق العالم المتمسك بحسن الخلق والبشاشة بمعنى أن العالم عندما يبتسم في وجه المتعلم يعطيه الثقة بالنفس والطمأنينة وهذا ما يسمى بالمصطلح التربوي «الصحة النفسية» وهي عامل هام وضروري في تقدم وازدهار العملية التعليمية وهناك أربعة أشياء لا بد أن يتمسك بها العالم لكي تظهر المروءة عنده، وهي قال الشافعي رحمه الله المروءة أربعة أركان: حسن الخلق والسخاء، والتواضع[16] والنسك[17]. (السنن الكبرى 95/10) وبذلك يكون المعلم عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الأخلاق.

وطلاقة الوجه تعبر عن الأخلاق الكريمة لذلك يقول ابن جماعة «معاملة الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه إفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ وكف الأذى عن الناس»[18]

13- مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي، حققه أسعد سالم تيسم، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م، ص63.

14- الخيرات التي هي كمال لنا، والتي من أجلها خلقنا،، ونجتهد في الوصول إلى الانتهاء إليها، ونتجنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي مسكوية، حققه ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر القاهرة، الطبعة الأولى 1398 هـ، ص21.

15- السعادة وأن سعادة الإنسان تكون في صدور افعاله الإنسانية عنه، بحسب تمييزه ورويته، وأن لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب الروية والمروي فيه، ولذلك قيل: أفضل الروية: ما كان في أفضل مروي. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، أبو علي مسكوية، ص22.

16- التواضع: فكلمة التواضع مأخوذة من مادة وضع وهي تدل على خفض الشيء والتواضع في عرف علماء الأخلاق هو: لين الجانب والبعد عن الاعتزاز بالنفس. الأخلاقيات المحمدية، د. محمد سمير الشاوي، دار العصماء، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م، ص104

17- المروءة: بكر محمد خلف بن المرزبان، المتوفى سنه 309هـ، تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، ص99.

18- تذكر السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مصدر سابق، ص76.

الأخلاقيات المشتركة بين العالم والمتعلم

ومن أهم الأخلاق التي يجب أن يتصف بها العلماء والمتعلمون فيما بينهم وبين ربهم من النية[19] والقول والعمل، أما عن أخلاق وأدب العالم مع طلبته، فيقول ابن جماعة أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه من بعدهم، وبركة دعائهم له وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله ﷺ وبينهم، وعداده في جملة ملتقى مبلغي وحي الله تعالى وأحكامه، فإن تعليم العلم من أهم أمور الدين و أعلى درجات المؤمنين[20].

ومن خلال النص السابق نجد الآثار التربوية لمفهوم الأخلاق في عملية التدريس وبالأخص الأخلاق المتعلقة بالمهنة أو ما يخص المعلم وهي:

1. عدم تعنيف التلاميذ، وترك عقوبة التوبيخ المستمر لعل يتعوده الطالب المخالف.
2. مراعاة الفروق الفردية في توظيف قدرات الطلاب المتفوقين والممتازين.
3. تربية الوجدان مع الله تعالى، وتربية الوجدان من الأخلاق التي تورث العلماء والمتعلمين والبكاء والخشية[21] والطاعة، وثمرات التربية الوجدانية تعمق في قلب العالم روح الفهم والتحليل[22].

19- النية: فإن لم تصح النية فهي معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال، بداية الهداية، الامام الغزالي، تحقيق، د. محمد زينهم عذب، مكتبة مدبولي، القاهرة ط1، 1413هـ-1993م، ص39.

20- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مصدر سابق، ص93.

21- أنه سبحانه وتعالى أخبر أنهم أهل خشيته بل خصهم من بين الناس بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28] وهذا حصر لخشيته في أولى العلم. وقد أخبر أن أهل خشيته هم العلماء، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية، تحقيق سيد عمران وآخرون، دار الحديث القاهرة د. ت ط، 2004م ص68.

22- أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري، اعداد عبد الرؤوف يوسف عبد القادر، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-1991م، ص47.

كيف يصبح المعلم قدوة حسنة؟

المعلم إسوة الطالب؛ ولهذا لا بد من أن يتصف بكريم الصفات ونبيل الأخلاق، وسيأتي أنه ينبغي أن يعامل طلابه بالشفقة والمحبة كأولاده « والتبسم وطلاقة الوجه ويخلص لهم في التعليم ويشعرهم بالتواضع والأبوة ويتعاون معهم في إنجاح العملية التربوية ويغرس في نفوسهم مشاعر التوقير والتعظيم لشخصه وعلمه، ويبتعد عن إزعاجهم وزجرهم وعقوبتهم إلا بقصد التأديب والتقويم، ويراوح في تذكيرهم بأهداف التعليم الروحية »[23].

ويؤكد الغزالي على أن الغرض من طلب العلم القرب إلى الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة وبقدر تصرفاته المسؤولة أمامهم لذلك يقوم الإمام الغزالي « فأعين التلاميذ إليه ناظرة وآذانهم إليه صاغية فيما استحسن فهو عندهم الحسن[24]، وما استقبح عندهم القبح[25] »[26] فلابد أن يكون المعلم قدوة حسنة وأسوة للمتعلم.

والعلاقة بين المعلم والطالب علاقة أبوة وبنوة فلا بد من مساواة الطلاب بعضهم مع بعض في اهتمامات المعلم والشفقة عليهم، والرفق بهم، والإحسان إلى فقيرهم والتودد إلى محتاجهم حيث يقول القابسي « فإنما هو لهم عوض من آبائهم فكونه عبوسا أبدا من الفظاظة الممقوتة »[27].

23- في التراث التربوي دراسات نفسية تعليمية تراثية، نذير حمدان، مرجع سابق، ص69.

24- الحسن: هو كل شيء ملائم للطبع كالفرح وكون الشيء صفة كمال، كالعلم وكون الشيء متعلق المدح كالعبادات، التعريفات الجرجاني، ص91.

25- القبيح: القبيح هو المنافر للطبع أو المخالف للغرض، أو المشتمل على الفساد والنقص وهو مقابل الجميل والحسن، وقيل: كل ما يتعلق به المدح يسمى حسنا، وكل ما يتعلق به الذم يسمى قبحا، وقيل: الحسن هو الواجب والمندوب والقبيح هو الحرام أما المباح والمكروه فهما واسطة بين الحسن والقبيح، المعجم الفلسفي د. جميل صليبا، دار الكتاب، بيروت، د. ت. 1414هـ-1994م ج2، ص185.

26- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط 1421هـ-2001، ج1، ص38

27- أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، القابسي، مخطوط منشور في الفكر =

2. مراعاة قدرة المتعلم على الفهم[28] والتحصيل

هناك مجموعة إفادات تربوية حول المتعلم والمعلم وتظهر هذه الإفادات من خلال العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم، وأيضا العلاقة المثالية للمعلم الذي يتمسك بالورع[29] والخوف من الله وإخلاص النية في التعليم من أجل كيفية توصيل المعلومة.

والهدف من مراعاة قدرة المتعلم على الفهم والتحصيل تربويا هو بناء شخصية وفق التصورات الفكرية المعبرة عن حركة المجتمع، ومن واجبات المعلم استخدام الأسلوب الأسهل في الفهم والشرح حيث يقول العاملي عن آداب المعلم في درسه «أن يتحرى تفهيم الدرس بأيسر الطرق وأعذب ما يمكنه من الألفاظ مترسلاً مبيناً موضحا مقدما ما ينبغي تقديمه، مؤخرا ما ينبغي تأخيره، مرتبا من المقدمات ما يتوقف عليها تحقيق المحل واقفا في موضوع الوقف، موصولا في موضع الوصل. مكررا ما يشكل من معانيه وألفاظه، مع حاجة الحاضرين أو بعضهم إليه»[30].

ماذا تعني الفروق الفردية؟ وما آثرها في مجالات التربية والتعليم؟

ولدراسة الفروق الفردية أهمية بالغة للمشتغلين بكثير من ميادين العلم المختلفة، فمعرفة خصائص النمو العقلي عند الطالب أمر هام في العملية التربوية، بمعنى أن المعلومات التي يقوم بشرحها المعلم لابد أن تتناسب مع عقلية وذكاء

=

التربوي، د. عبد الأمير شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، 1990، ص163.

28- الفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب. التعريفات الجرجاني ص174.

29- الورع: قلت: ما الورع؟ قال: مجانبة ما كره الله جل وعز، ومنه قول عمر ﷺ: ورعوا اللص ولا تراعوه، يقول: اطردوه وجنبوه رحالكم، ولا ترصدوه حتى يقع، ومن قول العرب: ورع الإبل: أي جنبها فالتقوى أدل منزلة العابدين، وبها يدركون أعلاها وبها تزكوا أعمالهم، لأن الله عز وجل لا يقبل عملا إلا ما أريد به وجهه. الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، حققه أ. عصام فارس وآخرون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ-2001م، ص23-24.

30- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، مصدر سابق، ص178.

المتعلم؛ لأن من طبيعة الذكاء وتعاريفه «المفهوم الحديث للذكاء الإشارة إلى عدة عمليات عقلية مثل التجريد وعملية التعلم والقدرة على التعامل مع المواقف الجديدة وعن طريق الإشارة إلى الذكاء على أنه عمليات عقلية مثل التعلم والتجريد بصبح من السهل التمييز بين الذكاء وبين العوامل الأخرى في الشخصية»[31]

ومن النص السابق نجد أن العاملي يشير إلى آداب المعلم مع طلبته لكي يوضح لنا شروط وأهمية الفروق الفردية في التعلم حيث يقول «يخاطب كل واحد منهم على قدر درجته وبحسب فهمه، فيلقى للمتميز الحاذق الذي يفهم المسألة فهما محققا بالإشارة ويوضح لغيره لاسيما متوقف الذهن ويكررها لمن لا يفهمها إلا بتكرار»[32].

فيما سلف ذكره عن أهمية الفروق الفردية وجدناها تتناول[33] أبعادا نظرية وتوجيهات متنوعة، ومستويات تطبيقية في توظيف قدرات الطلاب المتفوقين والممتازين في مشاركة أستاذهم في التعرف إلى الحقائق العلمية وهضم المعلومات والمعارف التي تستوعبها قدراتهم العقلية[34]

أهمية الأمثلة في الفهم والتحصيل عند فقهاء التربية

ومن واجبات المعلم التوضيح بالأمثلة وهذا ما يسمى بالوسائل التعليمية الحديثة. والفائدة منها كيفية توصيل المعلومات ومساعدة الطالب على قدرة الفهم، ومن شروط الفهم والتحصيل، يجب على المعلم أن يأتي بالأدلة والبراهين العلمية

31- علم النفس العام، عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ت. ط، 1987م، ص145.

32- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، مصدر سابق، ص167.

33- الفروق الفردية: اختلاف الناس في مستوياتهم العقلية والمزاجية والبيئية وهي تمثل الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعي عن الصفات المختلفة. معجم مصطلحات التربية والتعليم أ. محمد حمدان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، ص178.

34- في التراث التربوي، نذير حمدان، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م، ص165.

الصحيحة، ويستخدم النقد البناء في التمييز بين الصواب والخطأ، فيقول العاملي ويبدأ بتصوير المسألة ثم يوضحها بالأمثلة إن احتاج إليها ويذكر الأدلة والمآخذ لمحتملها، ويبين الدليل المعتمد ليعتمد، الضعيف لئلا يغتر به، فيقول استدلوا بكذا وهو ضعيف لكذا، مراعيا في ذلك ما يجب مراعاته مع من يضعف قوله من العلماء. بأن يقصد مجرد بيان الحق[35] حيث يتوقف على ذلك لا رفع نفسه على غيره، ولا هضم غيره[36].

ومن شروط مراعاة قدرة المتعلم على الفهم والتحصيل (اجتهاد المعلم)

والعالم من خلال اجتهاده تظهر ثمرة العلم وشرفه وعليه « أن يعرف أن شرف العلم إنما يرجع إلى شرف الثمرة أو قوة الدليل فعلم الدين فيما يرى الغزالي أشرف من علم الطب؛ لأن ثمرة الأول السعادة الأخروية وثمرة الثاني السعادة الدنيوية والآخرة خير من الأولى، وعلم الحساب أشرف من علم النجوم[37] لقوة أدلته، وعلم الطب أشرف من علم الحساب لأن الثمرة الأولى من قوة الدليل »[38].

من كل ما تقدم نخلص إلى القول بالأهمية الخاصة التي يوليها المعلم في مراعاة قوة المتعلم على الفهم والتحصيل ومراعاة قدراته العقلية والفروق الفردية لكي يحببه في العلم؛ لذلك يقول الغزالي أن يقتصر بالمتعلم على قدر

35- الحق: فقد يطلق بإزاء الموجود وقد يطلق بإزاء الضمير المطابق للخير. المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتعلمين، الآمدي، حققه د. عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للنشر، ط1، 1407هـ-1987م، ص126.

36- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، العاملي، آداب المعلم مع طلبته، مصدر سابق ص167.

37- علم النجوم: يسمى بالعربية التنجيم، وباليونانية: إصطرنوميا، واصطر، هو النجم، ونوميا هو العلم، والكواكب السيارة: زحل والمشتري والمريخ، والشمس والزهرة وعطارد والقمر، حققه إبراهيم الأبياري. مفاتيح العلوم، الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، 387هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1409هـ-1989م، ص235.

38- الأخلاق عند الغزالي، د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م، ص264.

فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه فينفره عقله[39] أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نُنَزِّلَ الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم»[40] ويتم ذلك عن طريق التأهيل التربوي والوعي التربوي للمعلم.

فَلْيَبُثَّ إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقيل بفهمها وقال ﷺ: «ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم» وقال علي ﷺ -وأشار إلى صدره-: «إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة» وصدق ﷺ فقلوب الأبرار قبول الأسرار، فلا ينبغي أن يغشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد، هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه[41].

أهمية الفروق الفردية في تنمية المعلم القاصر

ويأتي في السياق ذاته مراعاة الفروق الفردية للمتعلم القاصر «إن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ولا يذكر أن له وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق، فما من أحد إلا هو راضٍ عن الله سبحانه وتعالى في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا»[42].

وتأسيسا على ما تقدم يقول الآجري عن أخلاق العلماء في الحقل التربوي

39- العقل: جوهر مجرد عن المادة ذاته مقارن لها في فعله وهي النفس الناطقة التي بشير إليها كل واحد بقوله. أنا، وقيل: العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان، وقيل العقل نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقيل العقل جوهر مجرد عن المادة يتعلق باليدن تعلق التدبير والتصرف وقيل العقل قوة النفس الناطقة وهي صريح بأن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة (تعريفات الجرجاني، ص154).

40- حديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر. عند أبي داود من حديث عائشة «انزلو الناس منازلهم» قول لعلى بن أبي طالب في صحيح البخاري، الفتح1/199.

41- إحياء علوم الدين ت الإمام الغزالي، ج1، ص59.

42- المصدر السابق، نفس الصفحة.

والتعليم عند إعطاء فضيلة العلم يتمسك المعلم عند تعليمه ما يلي « فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور[43] على من كان ذهنه بطيئا عن الفهم حتى يفهم عنه، صبور على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم، يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم، فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجبه في وجه على وجه التبكيت له ولكن يقول: لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا، وينبغي لأهل العلم أن يتجافوا كذا وكذا، فيكون الفاعل لخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا فيبادر برفقه به »[44].

شروط الحوار العلمي والأسئلة العلمية في عملية الفهم والتحصيل

ومن قراءة النصوص نضع أيدينا على خاصية تربوية هامة في تحصيل الفهم، وهي أن العالم عندما يسأل من أحد الطلبة لا يغضب، ولا يوبخ السائل عند مخالفته، لذلك يقول الآجري « إن سأله سائل منهم عما لا يعنيه رده عنه أمره أن يسأل عما يعنيه، فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد اغفلوا عنه أبداه إليهم وأعلمهم شدة فقرهم إليه، لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله، ولا يزجره فيضع من قدره ولكن يبسطه في المسألة ليجبره فيها قد علم بغيته عما يعنيه ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه، ويقبل على من يعلم أنه محتاج إلى ما يسأل عنه ويترك من يعلم أنه يريد الجدل[45] والمراء، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة يسكت عن الجاهل حلما وينشر الحكمة نصحا »[46].

43- الصبر: مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إنما تنظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال، إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ج4، ص54.

44- أخلاق العلماء، الآجري، حققه ممدوح حسن محمد، الثقافة الدينية، د. ت. ط القاهرة، 1996م، ص34.

45- الجدل: ومعنى الجدل: تقرير على ما يدعيه من حيث أقر حقا كان او باطلا، أو من حيث لا يقدر الخصم أن يعانده لاشتهار مذهبه ورأيه فيه، لأنه يزري على مذهبه ورأيه فيه، مفاتيح العلوم، الخوارزمي، مصدر سابق، ص157.

46- المصدر السابق، ص35.

فيما سلف تحدثنا عن مراعاة قدرة المتعلم على الفهم والتحصيل والآن نتحدث عن الحنو والشفقة على المتعلم.

3. الحنو والشفقة على المتعلم

من أهم أخلاقيات العالم في صلته مع المتعلمين التمسك بفضيلتي الحنو والشفقة على المتعلم حيث يقول الحسين ابن أمير المؤمنين في آداب العلماء والمتعلمين الفصل الثالث في آداب العالم مع طلبته «أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه، كما جاء في الحديث ويكره له ما يكره لنفسه، وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه والصبر على جفاء ربما وقع منه، ونقص لا يكاد الإنسان يخلو عنه، وسوء أدب في بعض الأحيان، ويبسط عذره بحسب الإمكان، ويوقفه مع ذلك على ما يصدر منه، بنصح وتلطف، لا بتعنيف وتعسف، قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه، وإصلاح شأنه»[47].

أهم أهداف الحنو والشفقة في المجال التربوي وهي ما يلي:

المقصود بحسن تربيته هي التربية التي تهتم بالتربية الروحية كما تهتم بالتربية الجسمية دون الاعتراف بالفواصل بينهما من الناحية الشخصية؛ لأن هدفها تكوين شخصية إنسانية متكاملة في جميع النواحي من الناحية الروحية والأخلاقية والعقلية والجسمية معا[48].

وفيما يتعلق بطبيعة الحنو والشفقة اعتمادها على الأخلاق الجميلة فيقول الآجري عن مجالس العلماء «وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم ألزم نفسه حسن المداراة لمن جالسه، والرفق بمن ساءله، واستعمال الأخلاق الجميلة ويتجافى عن الأخلاق الدنية»[49].

47- آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن أمير المؤمنين، مصدر سابق، ص50-51.

48- التربية الأخلاقية الإسلامية، د. مقداد بالجن، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2002م، ص42-43.

49- أخلاق العلماء، الآجري، مصدر سابق، ص34.

كيف يتم تطبيق فضيلتي الحنو والشفقة في الحقل العلمي التربوي؟

وفي إطار هذا التقسيم لمضمون الحنو والشفقة لا يمكن تطبيقهما إلا عن طريق الرحمة والشفقة وعدم التوبيخ، والذي يقوم بذلك هو المعلم الماهر الحاذق بصناعة التعليم لذلك يقول الإمام الغزالي في كتاب العلم من إحياء علوم الدين الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم بيان وظائف المرشد المعلم: الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه، قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده» بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة[50].

وفي هذا السياق يلتزم المعلم بنشر فضيلة العلم حيث يقول الغزالي « إن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا: كالعلم وحسن الخلق[51] وإلى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق»[52].

ومما يمكن استنتاجه من أخلاقيات العالم وصلته بالمتعلمين عن طريق الحنو والشفقة ومراعاة قدرة المتعلم على الفهم والتحصيل وهو ما يلي:

1. على العالم أن يراعي «التدرج في التلطف ويؤدبه بالآداب السنية ويحرضه على الأخلاق المرضية ويوصيه بالأمور العرفية على الأوضاع الشرعية»[53]

50- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ت مصدر سابق، ج1، ص57.

51- حسن الخلق، علم الخلق: وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل وهي اعتدال قوى هي القوة النظرية والغضبية والشهوية كل منها أوساط بين رذيلتين. مفتاح السعادة ج1، ص237-238. وهو قسم من الحكمة العملية: وهو علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتخلى بها وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها، فموضوع الأخلاق والملكات والنفس الناطقة من حيث الاتصاف بها. كشف الظنون، حاجي خليفة، عمود 35. 38.

52- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ج4، ص87.

53- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مصدر سابق، ص95.

2. « أن يسمع له بسهولة الإلقاء في تعليمه وحسن التلطف في تفهيمه لاسيما إذا كان أهلا لذلك لحسن أدبه وجودة طلبه، ويحرصه على ضبط الفوائد وحفظ النوادر الفرائد، ولا يدخر عنه من أنواع العلوم ما يسأله عنه وهو أهل له؛ لأن ذلك ربما يوحش الصدر وينفر القلب ويورث الوحشية »[54].

3. « أن يكون سمحا ببذل ما حصَّلهُ من العلم، سهلاً بإلقائه إلى مبتغيه متلطفا في إفادة طالبيه مع رفق ونصيحة، وإرشاد إلى المهمات وتحريض على حفظ ما يبذله لهم من الفوائد النفيسات، لا يدخر عنهم من أنواع العلم شيئا يحتاجون إليه، ويسألون عنه إذا كان الطالب أهلا لذلك »[55].

4. « ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: اللهم من ولّي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فيه فأرفق به »[56]، وقد قال رسول الله ﷺ: « إن الله يحب الرفق في الأمر كله وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[57] »[58].

فيما سبق ذكره تكلمنا عن الحنو والشفقة على المتعلم والآن نتحدث عن بذل النصيحة

4. بذل النصيحة

لقد أنار الحسين بن أمير المؤمنين أخلاقيات الصلة بين المعلم والمتعلم عن طريق بذل النصيحة وهي تفضيل الطلبة لدراسة العلم، لأن العلم نور والجهل ظلام وعلى العالم أن يرغب الطلبة في تحصيل العلم حيث يقول: « أن يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات، وأنهم ورثة الأنبياء، على منابر من نور ونحو ذلك محاور في فضل العلم والعلماء

54- المصدر السابق، نفس الصفحة.
55- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، مصدر سابق، ص166.
56- الحديث من صحيح البخاري.
57- الحديث من صحيح البخاري.
58- آداب المعلمين، ابن سحنون، ص162.

من الآيات والأخبار، والآثار، والأشعار، ويرغبه مع ذلك بتدريج على ما يعين على تحصيله من الاقتصار على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعليق بها، وغلبه الفكر وتفريق الهم بسببها، فإن انصراف القلب عن تعلق الأطماع بالدنيا والإكثار منها والتأسف على فائتها، أجمع له وأروح ليسره وأشرف لنفسه، وأعلى لمكانته وأقل لحساده وأجدر بحفظ العلم وازدياده»[59]

شروط النصائح التربوية من المعلم للمتعلم

ويأتي في السياق ذاته من النص السابق أوصاف وأخلاق العلماء العقلاء في المناصحة من خلال المناظرات العلمية[60] والتي تعبر عن الحوار العلمي فيقول الآجري « ومن صفة العالم العاقل المناصحة في مناظرته وطلب الفائدة لنفسه ولغيره، كثر الله في العلماء مثل هذا ونفعه بالعلم وزينه بالحلم[61] »[62].

وهكذا نستطيع أن نقول أن بذل النصيحة من أهم أخلاقيات صلة العالم بالمتعلم وأنها واجبه عليهم فيقول ابن سحنون في آداب المعلمين « وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم »[63].

كيف يصبح المعلم مصلح اجتماعي مثل الإمام محمد عبده والكواكبي؟

والمعلم في بعض الأحيان يكون مصلحا اجتماعيا عندما يستخدم الزجر في النصيحة لمن يتمسك من الطلبة بسوء الأدب ويكثر الصياح والضحك في مجلس العلم فيقول العاملي « أن يزجر من تعدى في بحثه أو ظهر منه لدد أو

59- آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن أمير المؤمنين، مصدر سابق ص50.

60- علم المناظرة: وهو علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما وهذا العلم من أنواع العلوم العقلية أيضا. العلوم عند العرب، إعداد د. يوسف خوري، منشورات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1403هـ-1383م، ص4.

61- الحلم: قال بعض الأدباء: من غرس شجرة الحلم. اجتنى شجرة السلم، فالحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامة العرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد. أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص184.

62- أخلاق العلماء، الآجري، مصدر سابق، ص41.

63- آداب المعلمين، ابن سحتون، مصدر سابق، ص84.

سوء أدب، أو ترك أنصاف بعد ظهور الحق، أو أكثر الصياح بغير فائدة أو أساء أدبه على غيره من الحاضرين أو الغائبين، أو ترفع على من هو أولى منه في المجلس أو نام أو تحدث مع غيره حالة الدرس، أو ضحك أو استهزأ بأحد أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة»[64].

ويؤكد الغزالي على بذل النصيحة فيقول «أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر[65] بأكثر مما يفسده»[66].

5. ملاحظة حال المتعلم

من قراءة النصوص التي تختص بعلاقة المعلم والمتعلم نضع أيدينا على واجبات المعلم وهي ملاحظة حال المتعلم والتي تشمل مراقبته في أخلاقه وأدبه حيث يقول الحسين بن أمير المؤمنين في آداب العالم مع طلبته «أن يرقب أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا فمن صدر منه من ذلك مما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه، أو يؤدي إلى فساد حال، أو ترك اشتغال، أو إساءة أدب في حق الشيخ أو غيره، أو كثر كلام بغير توجيه ولا فائدة، ومعاشرة من لا تليق معاشرته، أو نحو ذلك، عرض الشيخ بالنهى عن ذلك بحضور من صدر منه ذلك، غير معرض به، ولا معين له فإن لم يفته نهاه عن ذلك سرا، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها، فإن لم ينته نهاه عن ذلك هجرا، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال»[67].

64- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، مصدر سابق، ص108.

65- الفجور: هو هيئة حاصلة للنفس يباشر بها أمورا على خلاف الشرع والمروءة. التعريفات الجرجاني، ص167.

66- الفاسد: ما كان مشروعا في نفسه فاسد المعنى من وجه الملازمة ما ليس بمشروع إياه بحكم لحال مع تصور الانفصال. التعريفات ص166.

67- آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن أمير المؤمنين، مصدر سابق، ص55.

لذلك يقول ابن حزم الأندلسي، من واجبات المعلم مراعاة حال المتعلم ذهنيا ونفسيا وعلميا عن طريق مراعاة «العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الأجساد القوية، ويهلك الأجساد الضعيفة، كذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودة، وتصفيه من كل آفة، وتهلك العقل الضعيف»[68]. وهذا النص يبين مراتب العلوم وصقل ذكاء الطالب ونمو ذكائه في العملية التعليمية

وتأسيسا على ما تقدم من ملاحظة حال المتعلم نجد أنها تشمل ما يلي:

1. من الواجب على المعلم السؤال عن الطالب الذي يغيب عنه فيقول ابن جماعة «إذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائدا عن العادة[69]، سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به، فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل. فإن كان مريضا عاده، وإن كان في غم خفض عليه وإن كان مسافرا تفقد أهله ومن يتعلق به وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن وإن كان فيما يحتاج إليه أعانه»[70].
2. يتم تطبيق ملاحظة حال المتعلم وقت جلوس العالم في حلقة الدرس فلا بد من إظهار وجهة حتى يتم ملاحظة حال المتعلم لذلك يقول العاملي «أن يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين ويلتفت إليهم التفاتا خاصا حسب الحاجة للخطاب، يفرق النظر عليهم، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه بمزيد من التفات إليه واقبال عليه وإن كان صغيرا أو وضيعاً فإن تخصيص المترفعين من أفعال المتجبرين والمرائين والقارئ من الحاضرين في حكم الباحث فيخصه بما يتعلق بدرسه، ويعطي غيره من الخطاب[71] والنظر بحسب حاله وسؤاله»[72].

68- رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، ابن حزم تحقيق، إيفا رياض، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1416هـ-2000م، ص89.

69- العادة: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول وعادوا إليه بعد أخرى. التعريفات الجرجاني ص149.

70- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مصدر سابق، ص101.

71- الخطابة: هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض =

3. يتم ملاحظة حال المتعلم عن طريق المعلم «أن ينصب لهم نقيبا فطنا كيسا، يرتب الحاضرين ومن يدخل عليه على قدر منازلهم، ويوقظ النائم وينبه الغافل ويشير إلى ما ينبغي فعله وتركه، ويأمر بسماع الدروس والإنصات إليها لمن لا يعرف، كذلك ينصب لهم رئيسا آخر يعلم الجاهل ويعيد درس من أراد، ويرجع إليه في كثير مما يستحي أن يلقى به العالم من مسألة أو درس فإن فيه ضبطا لوقت العالم وصلاحاً لحال المتعلم»[73]

4. يؤكد ابن خلدون على ملاحظة حال المتعلم انطلاقا من قيام الجدل[74] والحوار بين المعلم والمتعلم، ويوصي بقيام الحوار؛ لأنه يساعد على متابعة المعلم للمتعلم، ويساعد أيضا على تفتق الذهن واتساع المدارك وفك عقال اللسان الذي يكون بواسطته نقل العلم وهذا دور يجب أن يضطلع به المعلم وأن يدركه قبل أن ينتصب لهذه المهمة، لأن من أيسر طرق هذه المملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها[75].

جميع ما تقدم ذكرنا له مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة كلها تجري له بتوفيق من مولاه الكريم، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين طلبته من حسن الملاحظة والرعاية، عن طريق النصح للمتعلم، والغرض من نصح المتعلم العلوم هو القرب إلى الله، حيث يقول الغزالي: أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي

=

منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور تهم معادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ. التعريفات، الجرجاني، ص104.

72- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، مصدر سابق، ص176.

73- المصدر سابق، ص184-185.

74- الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، وهو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. التعريفات، الجرجاني، ص79.

75- الفكر التربوي عند ابن خلدون، د. عبد الأمير شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، 1991م، ص76.

لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فإن علم باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فإن كان هو علم الخلاف في الفقه[76] والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذا العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث[77].

شروط أخلاقيات المعلم عند ملاحظة ومراقبة المتعلم في سلوكه وأفعاله

من خلال النصوص السابقة والتي تتعلق بملاحظة المعلم لحال المتعلم يجب أن يتمسك بفضيلة الإيثار وهي: « الإيثار: إذا كان الإسلام كما رأينا بأمر بالكرم والإنفاق في سبل الخير، ويعد يحسن الجزاء عليه في الدنيا وعظيم الثواب في الأخرى، فإنه قد حبب الكرم إلى أعلى درجاته فنشأ عنه خلق جميل وهو الإيثار والإيثار، خلق لا نبالغ إذا قلنا أن الإسلام قد تفرد به، فلا يوجد على ما تعرف في أي نظام أخلاقي سماوي آخر ولا نظام من صنع البشر وهو لهذا ليس خلقاً لجميع الناس، بل للصفوة المختارة من الناس، وهو لا يندب إليه في كل حال، بل في بعض الحالات إذا لزم الأمر »[78].

من النص السابق يتبين لنا أن فضيلة الإيثار أمر هام للمعلم، لأنها تشجعه على نشر العلم، وملاحظة أحوال المتعلمين في كل مكان، ويتم أيضا عن طريق

76- الفقه: هو في اللغة: عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل، هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله فقيها لأنه لا يخفي عليه شيئا. التعريفات الجرجاني، ص170.

77- إحياء علم الدين، الإمام الغزالي، مصدر سابق، ج1، ص58.

78- الأخلاق في الإسلام، د. محمد يوسف موسى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، 1413هـ-1991م، ص69.

الرفق، وهو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، وهو دليل على حسن الخلق والاناءة والرزانة وحظ المرء من التوفيق بقدر حظه من الرفق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159]، وقال أيضا: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: 43-44].

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»، رواه مسلم 6592.

وعنها أن النبي ﷺ قال: «الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم 6594.

وعنها أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق» رواه أحمد في المسند (104/6).

وملاحظة حال المتعلم من قبل المعلم يجب أن يقتدي برسول الله ﷺ عندما كان يغيب أحد عنه سأل عنه «عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره وإن كان مريضا عاده»[79].

والخلاصة من النصوص السابقة أن التربية عملية مستمرة ومتطورة ومتنامية، حاجتها إلى الاستزادة من المعرفة والتوسع في الحصيلة العلمية والتربوية مثل حاجتها إلى الخبرات التربوية اليومية وأساليب التأهل التربوي لبناء أجيال الأمة على نوعية معينة من التكوين التربوي التطبيقي السليم.

الخاتمة

تعد دراسة التربية الإنسانية وهذا موضوع بحثنا (أخلاقيات العالم في صلته

79- مكارم الأخلاق: أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، حققه الشيخ حسين الأعملي، مؤسسة الأعملي للمطبوعات، الطبعة الثانية، 1422هـ-2001م، ص19.

مع المتعلمين بين النظرية والتطبيق) من الدراسات التاريخية التي يمكن الاستفادة منها في التربية المعاصرة، وفي الفكر التربوي الإسلامي لتحقيق أهداف وغايات دينية وأخلاقية واجتماعية في الحقل التربوي.

وانتهى البحث إلى بعض النتائج التربوية وهي ما يلي:

1. يجب على العالم في صلته مع المتعلمين أن يتمسك بالطلاقة والبشر، وبذلك تتحقق مقولة سيتفان جزال «الابتسامة واجب اجتماعي» وينتج عن ذلك تطبيق (علم اجتماع التربية) ويهتم هذا العلم بدراسة العلاقة بين النظام التربوي والمجتمع ككل من ناحية، والخصائص النوعية التي تميز النظم التربوية في المجتمع من ناحية أخرى، وهذا ما سبق عرضه بالتفصيل في هذا البحث من خلال فقهاء التربية والنظريات التربوية المعاصرة.
2. يعبر هذا البحث عن الدراسات الميدانية التجريبية، لأنه يتخذ مجال أساليب التدريس والتقويم في فروع المعرفة والجانب النظري تعززه بل وتعمل على تعديله على ضوء معطيات الواقع التطبيقي، وقد عالج البحث هذه النظرية من خلال خصائص العالم ومهاراته في التواصل مع الطلبة أي «مراعاة قدرة المتعلم على الفهم والتحصيل» باستخدام الفروق الفردية، وأنواع الفروق الفردية، والعوامل المؤثرة في الفروق الفردية، من أجل التنمية الشاملة للمتعلم، وتشكيل عقولهم، ونفوسهم على نحو مبدع وصياغة العقول. بمستويات تطبيقية في توظيف قدرات الطلاب المتفوقين والممتازين.
3. اهتمت هذه الدراسة بالجوانب الأخلاقية والسلوكية بين العالم والمتعلم عن طريق الحنو والشفقة، والرفق، ويؤكد هذا البحث على أن تنمية القدرات الأخلاقية تحتاج إلى إعداد خاص للمعلمين وإلى حسن اختيارهم، لأن المعلم، يشكل عاملا، رئيسا في هذا الميدان، كما رأينا في تفاصيل هذا البحث.
4. يتناول هذا البحث الطرق التربوية، والتربية الإبداعية العلمية، والتربية الفقهية عند علماء التربية مثل ابن سحنون والقابسي، والغزالي، وابن جماعة وابن خلدون من أجل النظام الأخلاقي، والنظام الاجتماعي، وعدم التقليد البليد إلى الاجتهاد المنفتح، ويتم ذلك عن طريق العالم الإنساني الفعال الذي يمتلك

خصائص معرفية، وإعداد مهني أكاديمي، وأن يمتلك العالم الخصائص الانفعالية والشخصية لكي يصبح مسؤولاً في تحديد ما ينبغي تعلمه في التخطيط التربوي ببذل النصيحة من العالم للمتعلم عن طريق الحوار العلمي والمناظرات العلمية.

5. أثبتت هذه الدراسة أن «أخلاقيات العالم في صلته مع المتعلمين» يعبر عن «تفسير التفاعل الاجتماعي» لذا يرى السلوكيون أن عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد ترد نظرية المثير والاستجابة، لأن كلام العالم ذا الأثر المباشر يعطي حقائق أو آراء حول محتوى الدرس أو طريقته معبرا عن آرائه الخاصة أو طارحا أسئلة بيانية أو بلاغية كجزء من طريقته في المحاضرة، وهذا يتوقف على التأهيل العلمي والتربوي للمعلم من خلال مراقبة المتعلم وملاحظاتهم والسؤال عنهم، لتحديد نقاط ومواطن الضعف للمستويات التعليمية للطلاب.

6. من خلال الصلة بين العالم والمتعلم يتم دراسة التقويم التكويني أو البنائي في أثناء عملية التعلم، ويتم بشكل دوري حيث يزودنا بمعلومات مستمرة عن سير العملية التعليمية وتطويرها، ويهدف إلى تحديد فاعلية طرائق التعلم المختلفة من أجل تطورها نحو الأفضل، والإلمام بالجوانب الأساسية لتقويم التعلم، لذلك أصبح التشديد على دور العالم باعتباره منظما وميسرا ومعززا لتعلم الطلاب في تكافؤ الفرص التعليمية بين جميع أفرادها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الصحيحان: البخاري محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، ومسلم ابن الحجاج (ت: 261هـ)

أولاً: المصادر

1. أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، القابسي، مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند القابسي، د. عبد الأمير شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، 1990م.
2. إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، 1421هـ /2001م.
3. أخلاق العلماء، الآجري، حققه ممدوح حسن محمد، الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت. ط، 1996م.
4. الأخلاق والسير أو رسالة مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، الإمام الكبير أبي محمد بن أحمد ابن حزم الأندلسي (384-456هـ) تحقيق، إيفا رياض دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1421هـ-2000م.
5. آداب العلماء والمتعلمين، الحسين بن أمير المؤمنين، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1408 هـ-1987م
6. آداب المعلمين، ابن سحنون، مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون، د. عبد الأمير، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1991م.
7. أدب الدنيا والدين، الماوردي، اشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، 1421-2000م
8. بداية الهداية، الإمام الغزالي، تحقيق، د. محمد زينهم عذب، مكتبة مدبولي، القاهرة ط1، 1413هـ-1993م
9. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة، مخطوط منشور في كتاب الفكر التربوي عند ابن جماعة، مخطوط منشور في كتاب د.

عبد الأمير شمس الدين، دار الكتاب العالمي، الطبعة الأولى 1990م.
10. رسائل منطقية في الحدود والرسوم ابن سينا، تحقيق: د. عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، لبنان، د. ت ط: 1993م-1413هـ
11. رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي، حققه أ، عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة، ط10، 1421هـ-2000
12. الرعايا لحقوق الله، المحاسبي، حققه أ. عصام فارس وآخرون، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي، 1421هـ-2001م.
13. المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، الآمدي، حققه د. عبد الأمير الأعسم، دار المناهل للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ-1987.
14. مختصر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي، حققه أسعد سالم يتسم، دار ابن حزم، الطبعة الأولي، 1418هـ-1997م
15. المروءة: بكر محمد خلف بن المرزبان، المتوفى سنه 309هـ تحقيق محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999م.
16. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم الجوزي، تحقيق أ. سيد عمران وآخرون، دار الحديث القاهرة د. ت ط، 2004م
17. مكارم الأخلاق، أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، حققه الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1422هـ-2001م.
18. منيه المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين العاملي، د. عبد الأمير شمس الدين، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1986م.

ثانياً: المراجع

19. ابتسم د. عائض القرني، مكتبة العبيكان، السعودية، الرياض، ط9، 1469هـ-2008م.
20. أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري، إعداد عبد الرؤوف يوسف عبد القادر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1991م.
21. الأخلاق عند الغزالي، د. زكي مبارك، دار الجيل، بيروت ط1، 1408هـ 1988م.

22. الأخلاق في الإسلام د. محمد يوسف موسى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1991م.
23. الأخلاقيات المحمدية، د. محمد سمير الشادي، دار العصماء، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى، 1425هـ-2005م،
24. أروع ما قيل في الابتسامة، أميل ناصيف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ-1998م.
25. أسس التربية، د. عزت جرادات وآخرون، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1418هـ-1998م.
26. التربية الأخلاقية لإسلامية، د. مقداد بالجن، دار عالم الكتب، ط3، 1433هـ 2002م.
27. التربية الإسلامية، أصولها وأعلامها ومستقبلها تساؤلات في جدلية الإسلام والحداثة د. محمد جواد رضا، دار اليازوري العلمية، الأردن، ط1، 1418هـ-1997م.
28. سيكولوجية التعلم والتعليم، الأسس النظرية والتطبيقية، د. سامي محمد ملحم، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2001م-1422هـ.
29. علم اجتماع التربية، د. عبد الله الرشدان، دار الشروق، 1999م.
30. علم النفس العام د. عبد الرحمن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت. ط: 1987م.
31. الفكر التربوي الاسلامي، د. محمد حسن العمايرة، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1421هـ-2000م.
32. الفكر التربوي عند ابن خلدون، د. عبد الامير شمس الدين، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1991م.
33. في التراث التربوي، دراسات نفسية تعليمية تراثية، أ. نزير حمدان، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1409هـ-1989م.

ثالثاً: المعاجم ودوائر المعارف

34. التعريفات، الجرجاني، تحقيق ودراسة: أ. محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العملية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ-2002م.
35. معجم العلوم عن العرب، تبويب وتعاريف ونصوص، د. يوسف خوري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م.
36. المعجم الفلسفي د. جميل صليبا، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، د. ت. ط، 1414هـ-1994م.
37. المعجم الفلسفي د. مصطفي حسيبه، دار اسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
38. المعجم الفلسفي. د. مراد وهبة وآخرون، القاهرة، 1961م.
39. معجم مصطلحات التربية والتعليم أ. محمد حمدان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ-2007م.
40. دائرة المعارف، أفرام البستاني، بيروت المطبعة الكاثوليكية، د. ط، 1960م.